http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1334) السنة السادسة -الاحد (28) ايلول 2008

عن المجلس الأعـــلى للثقـــافة..وســـواه

الحكومة..والثقافة والمثقفون

من جلسات اسبوع المدى الثقافي الرابع

فـي اسـبوع المدى الثقافي بأربيـل عام ٢٠٠٦ ،وكان أول اسـبوع يعود الـى العراق بعد الاسـابيع الدمشـقية الثلاثـة ، طرحت للمرة الاولى فكرة تأسـيس مجلـس أعلى للثقافة في العـراق ..حيث جرى اقتراح بإعداد ورقة بخطوط وافكار عامة ،وتمت مناقشـة الفكرة بإطـار عام أيضا بين عدد محدود من الزملاء .لقـد اتفق على عدم الخوض في التفاصيل الاجرائيـة ،بانتظار الاصغاء الـى آراء العدد الكبير من المثقفيـن العراقيين الذين حضروا فعاليات الاسـبوع،ليصار بعد ذلك الى انضاج ورقة اخرى تسـتوعب الاجماع وتستفيد من حاصل الخبرات والاراء الانضج مادام الشـأن يخص الجميع ،وبالتالي فان المشروع مشروع وطني ،ولايعني جماعة او جهة بعينها.وهذا ماوجدناه يتطلب حوارا ناضجا ومساحة واسعة من العمل الحر واحترام الاختلافات.

عبدالزهرة زكي

في ذلك الاسبوع بلغ عدد الحاضرين أكثر من ست مئة مثقف شكلوا طيفا واسعا ومنوعا على أكثر من مستوى..ادباء من شعراء وروائيين وكتاب قصة ونقاد وباحثين ادبيين ، الى جنب فنانين من مسرحيين وتشكيليين وسينمائيين وفوتوغرافيين وموسيقيين ومغنين،والى جنب مفكرين في حقول السياسية والاقتصاد والفلسفة والاجتماع. والى هذا التنوع في التخصصات كان هناك في فعاليات الاسبوع يحضر تنـوع آخر..فالعلمانيون التقوا الاسلاميين ،والتقـى الليبراليـون بالاشـتراكيين ،بالقوميـين، باليساريين ، باليمينيين،والتقـى حزبيـون بمسـتقلين.وكان ثمـة مسـتوى ثالـث للتنوع في فعاليات الاسبوع وفره، وبكثافة حدثت للمرة الاولى ،التقاء حميم لمثقفي الداخل بزملائهم من مثقفي العراق الذيـن توزعتهم منذ عقود بلدان المعمـورة ومنافيها وملاذاتها الامنة الكريمة.وكان العمل والنشـاط الثقافي المزدحم والمدفوع بغلواء السـعي لتحقيق امر مفيد للعـراق الجديد ولثقافته الجديـدة يخفـف مـن غلـواء سـعادة اللقـاء الذي انتظـره الكثيرون اكـثر من عقديـن وثلاثة عقود. هذه التنوعات الحاضـرة في اسبوع المدى وفرت الفرصـة المناسـبة الافضل للتفكير بشكل جماعي براهن الثقافة وبالصـور التي يرى عليها المثقفون مسـتقبل هذه الثقافة.وكانت فكرة تشـكيل مجلس أعلى للثقافة احدى هذه الصور المقترحة.

أعدت الورقة المطلوبة،وقرئت، وقد تضمنت حسب الاتفـاق افـكارا عامـة حـول مـبررات الحاجة الى مجلـس اعلى للثقافة في العراق ومقترحات بشـأن المجـالات التي من الممكن ان يعمل فيها أو من أجلها المجلس..وكان المهم بين كل ذلك،فيما أحسـب،هو التاكيـد الـذي اصـرت عليـه الورقـة والمتعلـق باستقلالية عمل المجلس والسعي من اجل الوصول الى آلية تضمن له ادارة ديمقراطية ومهنية من قبل المثقفين انفسـهم ،اضافة الى العمل من اجل ضمان تمويل يحصن ويديم عمل المجلس بما لايؤثر على اسـتقلاليته وطابعـه الثقـافي الصـرف.كان هناك اجمـاع على هذه المبـادئ،وكان النقاش والحوار والاختـلاف المتوقـع منـه وغـير المتوقع قـد تركز على التفاصـيل:كيفية ضـمان اسـتقلالية المجلس ..كيفية الوصول الى ادارة مستقلة ..كيفية ضمان التمويل غير المشـروط.لقد كرس الجدل والخلاف اللذان احتدما فجأة الإصرار والإجماع على الهوية المسـتقلة ،وهـذا مـا توافـق مع الفكـرة الأسـاس ليحسـم الأسـتاذ فخري كـريم الأمر حـين أكد على منصة مؤتمر المثقفين(وهو أحد فعاليات الأسبوع) مـا معناه أن المجلس المقـترح ينبغي أن يتحرر من أي ارتباط بما فيه الارتباط بمؤسسة المدى (حيث اقـترح بعض الزملاء مثل هذا الارتباط) مشيرا ومؤكدا على أنه غير معني بالتفكير بادارة المجلس التي يسـتبعد نفسه منها مفضلا ان يختار المثقفون مجلسـا من ابرز رموز البلد الثقافية ليدير الأعمال ويختار رئيسا من بين اعضائه.

لم يكـن ممكنـا في اجتمـاع واحـد وبهـذا العـدد الوصـول الى نتائج نهائية..وماكان أصـلا ينبغي الوصـول الى نتائج سريعة لمشـروع استراتيجي يـراد له النهوض بثقافة جرى تخريبهـا وتفكيكها وتحطيـم مؤسسـاتها وبناهـا التحتيـة وتشـويه الكثـير من قطاعاتها طيلة عقود ، مشـروع يسـعى الى فتـح آفاق جديدة للعمل الثقـافي الوطني .كان التحسـب مـن الارتجال وفـورات العمـل العاطفي سـريعة الانطفاء والزوال تقابله الثقة التي ابداها الحاضـرون بامكانية حـدوث عمل حقيقـي لثقافة حقيقيـة ويتكفـل بـه مثقفـون مخلصـون وأكفـاء ،كان التحسـب والثقة يتنازعان لصـالح الوصـول الى افضـل الصـيغ لتشـكيل مثـل هـذا المجلس.. وهذا مادفع بالمؤتمرين الى تكليف مؤسسـة المدى بانضـاج المشـروع والدعوة،مـن ثـم،الى اجتماع في بغداد يتولى مناقشـة المشـروع واقرار صيغته النهائية لتقديمها الى الجهات ذات الاختصاص في الدولة من اجل الحصـول على الموافقات القانونية اللازمة لعمل المجلس.

هذه الوقائع يتذكرها جميع المثقفين الذين حضروا اسـبوع المدى الرابع في اربيـل عام ٢٠٠٦ ،وكثير منهـا منشـور سـواء عـبر الوقائـع التـي نشـرت كاملة(ومنها الورقة الأولية التي قرئت في المؤتمر) والمسـجلة تلفزيونيا لدى اكثر مـن قناة وفيديويا لـدى المـدى،أو عبر التغطيـات الصـحفية الكثيرة التـي واكبت فعاليات الاسـبوع وغطـت الكثير من فعالياته وانشطته.

كانت الفكرة بشأن عمل مستقل وحر للثقافة تنطلق مـن دوافع حقيقيـة لأهمية تحريـر الثقافة والعمل الثقافي مـن احتكار طويل اسـتبدت به السـلطات كثـيرا بالثقافـة التـي انحرفـت ،في الكثـير مـن مفاصـلها ،وتحت ضغط الاسـتبداد والاحتكار عن طبيعـة أهدافها وجوهـر عملها ومهماتها.انحسـر عمل الثقافة واكتفت منه السلطات بما يديم ويؤمن احتياجاتها ، فيما تحولت الحركة الثقافية الناشطة التـي تعرفـت عليهـا البـلاد وأرسـاها رواد الفكـر والأدب والفنون في أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي الى مجرد عمل افراد مثقفين ناشطين بالقدر الـذي تتيحـه حرياتهـم واجتهاداتهـم وظروفهـم. لقد اضـمحل العمل المؤسسـي ،ولم تتبق منه ابان اسـتبداد السـلطات غير هياكل مؤسسات منخورة بدوافع الدعاية والايديولوجيا واستخدام الثقافة. فيمـا انتهت حـركات الجماعات الثقافيـة والادبية التأسيسـة منهـا أو التجديديـة وحتـى الاحيائية الى عمل شخصـي معـزول ومبادرات فردية تشـع وتؤثـرفي محيـط عملها الثقـافي احيانـا وتتكفئ على فرديتهـا احيانـا أخرى،بينما اختفـى الطابع العلمي والثقافي الاكاديمـي المتوقع من الجامعات الا باسـتثناءات محدودة كان أسـاتذة جسـورون أبطالهـا أو طلبة مغامرون يتوجـب عليهم بعد ذلك دفع اثمان جسارتهم ومغامرتهم.

لا يتعلـق الامر،أمـر تحريـر الثقافـة، بنـوع نظام الحكم القائم،سـواء أكان شموليا أم ديمقراطيا.. فـاذا شـئت ان تعـزز ديمقراطية نظـام ديمقراطي فينبغي ان تعينه في التخفف من هيمنته واحتكاره وادارتـه لأي مـن الفعاليـات التـي ينبغـي فض اشـتباكه بهـا..ان الحلـول التـي تذهـب الى الغـاء الشـراكات بين الحكومة والفعاليات المجتمعية هي ما يضـمن مصـلحة الطرفـين معا.تسـتفيد الثقافة مـن هذا الطـلاق حريتهـا وقدرتها علـى النمو غير الطفيلي،فيمـا تكتسـب الحكومة(بالاضـافة الى تحررهـا مـن اعباء الادارة والتخطيـط والتمويل) تحررهـا من اغـراءات الهيمنـة والامتلاك،ومن ثم شـراهة الاحتكار والاسـتخدام،وكل هذا يتعارض مـع الطبيعـة الديمقراطيـة المفترضـة لنظـام الحكـم الديمقراطـي.ولا يعفي هذا التصـور طبعا الدولة(وربمـا حتى مـن خلال سـلطتها التنفيذية) من مسؤولياتها والتزاماتها ازاء الثقافة،وهو شأن آخر لسنا بصدده.

عملـت مؤسسـة المـدى بعـد اسـبوع المـدى عـبر المثقفين العاملين فيها على السـعي من اجل انضاج المشـروع الذي كلفت به من قبل مؤتمر المثقفين في اربيل..وفيمـا كانـت الاسـتعدادات تجـري لدعوة عـدد من المثقفين العراقيين لحضـور اجتماع بغداد لمناقشـة وتعديل المشروع واقراره قبل تقديمه الى السلطات المختصة فوجئنا بزملاء آخرين في اتحاد الادباء يعلنون أنهم قد اعدوا مشروعا وتقدموا به الى مجلس النـواب.وكان بعنوان(المجلس الاعلى للثقافة والفنون)،أو شيء من هذا القبيل.

كان هـؤلاء الزمـلاء ممن حضـروا اسـبوع اربيل وفعالياته،كانوا بين المؤتمرين الذين اجمعوا على ما اجمعوا عليه،ولم يبدوا اعتراضا او اقتراحا أو رأيا بخـلاف ذلك الاجماع.ومن هنا كانت الدهشـة من هذا التصـرف الذي لا يقال عنه في اكثر الصيغ تهذيبـا إلا انه(يسـتفيد) من أفـكار الآخرين،ولكنه ينتهي بها،وكما يقال بافضل الصـيغ تهذيبا ايضا الى غير ما يراد منها.

لقد اضـطرت المدى ، رغبة منها في عـدم (التدافع) و(التنافس) مع آخرين الى ايقاف عملها بالمشروع الـذي اقترحتـه وقطعنا شـوطا في الاعـداد له.لقد بـدا الامـر كمـا لـو ان تدافعـا بالمناكب يحـدث من أجل الاسـتثمار.وهو ما تكرس أكثر بعد مشـروع اتحـاد الأدباء مـع اعـلان مفاجـئ آخر،ولكن هذه المرة خارج البلاد،في العاصمـة الاردنية عمان ،عن العمل على تأسـيس مجلس أعلـى للثقافة العراقية ،وكانـت دوافع التمويل التي أسسـت هذا المجلس هـي ذاتها التي عجلـت الاطاحة به .لقـد دعينا الى المشـاركة في تأسـيس هـذا المجلس ،وقـد اعتذرنا عـن ذلـك برسـالة ،كانـت صـريحة في تسـاؤلها حول التمويـل وطغيـان الاهداف السياسـية على الثقافية في اعلان المبادئ الذي ارسـله المؤسسون الى المدعوين .نشـرنا الرسـالة حينها ،فيما حضـر زملاؤنا في اتحاد الادباء مؤتمر عمان ، متجاهلين الشـكوك التي اطلقناها،وثبتت صحتها بعد أشهر، ومتجاهلـين التحذيرات المباشـرة التـي ابلغناهم بها،كزمـلاء مثقفين وكادارة اتحادية .حضـروا المؤتمر وتنافسـوا انتخابيا فيه من أجل الوصول الى المراكـز القياديـة في مجلس عمان ، متناسـين أنهـم اصـحاب مشـروع معروض علـى البرلمـان وعلـى السـلطة التنفيذيـة في بغـداد، وقبـل هـذا وبعـده متناسـين أن هنـاك اجماعـا ثقافيـا وطنيا بشـأن السعي الى تشـكيل مجلس أعلى للثقافة في العراق،اجماعـا كانوا هم جزءا منـه ،يتعارض مع ما فعلوه في عمان وفي اتحاد الادباء..

قـد يبـدو صـحيحا العمـل علـى تعدديـة المراكـز والمؤسسـات،لابأس في تكثـير هـذه المؤسسـات وجهات العمل الثقافي.بـل ينبغي أن تتعدد المراكز بما يتيح للخيارات والفرص أن تتعدد.

ليصار بعد ذلك الى انضاج ورقة اخرى تسـتوعب الاجماع وتستفيد من حاصل الخبرات والاراء الانضج مادام الشـأن يخص الجميع ،وبالتالي فان المشروع مشروع وطني ،ولايعني جماعة او جهة بعينها.وهذا ماوجدناه يتطلب حوارا ناضجا ومساحة واسعة من العمل الحر واحترام الاختلافات.

مـا شـاكل ذلـك . ان العمل مـن اجل مجلس اعلى للثقافـة في البـلاد وبالمسـؤوليات والهيكلية التي جرى عليها الاتفاق في أربيل وبالاسـتقلالية التي تم التاكيـد والجدل فيها هو غير تلـك المنظمات أو المراكز..ولكنه أيضـا غير المشـروع الذي خرج به اتحـاد الادبـاء علـى مشـروع المثقفـين العراقيين واجماعهم،حـين عمل القائمون على هذا المشـروع مع السلطة التشـريعية مرة ومع السلطة التنفذية مرة اخرى من دون الرجوع الى المثقفين العراقيين ومـن دون الاسـتماع الى رأيهـم الـذي كانـوا قـد سـمعوه في مؤتمر اسبوع المدى والذي اصر على كـون المجلس المرتجى كيانا مدنيـا ولا تراد له اية صـفة غير صفته المدنية المسـتقلة ولا اية مرجعية غير مرجعية المثقفين انفسـهم.لاأريد أن أدافع عن نموذج المدى بوصفه الأرفع والأنجع.ليس هذا من شـأن هذه الملاحظات التي أكتبها الآن.لا ينبغي أن تنصرف القراءة الى تصور آخر عن احتكار تنفيذ المشـروع الذي اتفق عليه المثقفـون العراقيون في اربيل وتبنوه.بل العكس هو الصحيح ..تستطيع أية جهـة أو مجموعة ثقافية أن تنهض بالمشـروع او مشـروع مماثل،غـير أن المهـم هـو الاحتفـاظ بالطابـع المـدني المسـتقل للمجلس والقـدرة على توفـير الممكنات التي تسـمح بهـذا الطابع والعمل علـى وفقه،ولقد تخلى مشـروع اتحـاد الادباء عن هـذا الطابـع لاصـطدامه ،فيمـا أحسـب بمشكلة التمويـل والاضـطرار بالتالي الى حاجـة الرعاية الحكومية،بل الاندماج بالهيكل الحكومي.

شخصـيا افهـم الدوافـع النبيلـة للسـيد رئيس الـوزراء حين اعلن قبـل أيام عن تشكيل مثل هذا المجلس.افهـم تمامـا ان رغبة حقيقية في اسـعاف الثقافة الوطنية والنهوض بها تكمن وراء مثل هذا القـرار الذي اعلن بحضـور عدد مـن زملائنا،كان بينهم اصـحاب مشـروع اتحاد الادبـاء، لكن المهم الـذي لابد مـن التفكـير فيه هـو مدى قـدرة جهاز حكومي(اية حكومة) علـى ان يكون منتجا وفعالا في حقـل الثقافـة واراداتهـا التـي تتعارض في كثير مـن الاحيان مع ارادة السـلطة(اية سـلطة). يدرك مثل هذا الامـر رئيس الوزراء الذي كان قبل سنوات في موقع المعارض وقد يكون بعد سنوات في موقع المعارض ايضـا حين تأتـي الديمقراطية ببرلمان اخر وحكومة اخرى.

يسـتطيع المثقفـون العراقيـون حتـى الان ان يتحدثوا بصـوت عـال وان يحتجوا ويعترضـوا ،مدركـين أن حكامهـم الخارجـين تـوا مـن رحـم المعارضـة والاحتجـاج ،كانوا الاقـرب الى الثقافة وجدلهـا وحنقها..مثلمـا هـو شـأن المعارضـين دائما،لذلـك يتوقـع كثـير مـن المثقفـين ان يعمـل السياسيون العراقيون على تنمية روح الاحتجاج والمسـاءلة ليس في ميـدان الثقافـة التـي لاتعمل مـن دون اسـئلة وتحديـات فحسـب وانمـا في اطار المجتمـع ككل.فلا ديمقراطية من دون شـعب يحتـج ويعترض.ولا يمكـن تنميـة ثقافة محتجة وغاضـبة من دون ان نضـع مسـافة واضـحة بين السـلطة والثقافة.ويخطـئ بعـض السياسـيين حـين يرون ان مثل هـذه الادوار الثقافية قد انتهت بانتهاء الحقبة الدكتاتورية..وأن ما يبدو الآن من توافقات سياسـية يفرضـها الظـرف ، ويبدو معها البرلمـان ككتلةحكومية واحدة(من دون معارضـة أو مجرد معارضـة هامشية ضـئيلة لاتذكر) يلغي تلـك الأدوار،ويكرس دورا منسـجما و(متوافقا) للثقافة ..مثل هذه التصـورات غـير دقيقة، لكونها تفترض ان الاحتجـاج الثقـافي يعمـل في ميدان السياسـة حصـرا، وهو تصـور متأت من ضـغط التربية السياسـية ،ومن المحدودية التي حشـرت الاهتمامـات الثقافيـة فيهـا بفعـل ذلـك الضـغط. ان السياسـة ،مـع اهميتها،هـي واحـد مـن حقول كثـيرة تعمـل فيهـا الثقافة..وقـد تتراجـع أهمية هذا الحقـل في العمل الثقـافي في المجتمعات ذات الأنظمـة السياسـية الأكثر اسـتقرارا وانسـجاما مـع الارادة الشـعبية .وتلك تصـورات غير دقيقة ايضـا لأنهـا تبنـي أحكامهـا انطلاقـا مـن اجماع سياسـي وطنـي راهن مـن اجـل انجـاح العملية السياسـية والتغلـب علـى اخطـار الارتـداد علـى هـذه العملية المسـتهدفة.ومثل هـذا الاجماع الذي يعطـل الاختلافـات ويرجئها هو اجمـاع قابل لأن ينحل داخل العمل البرلماني الديمقراطي السـلمي مـع زوال مبرراتـه وموجباتـه الراهنـة. وحينها يحتاج الجميـع ،مثقفين وسياسـيين(حين يتبادل السياسيون الأدوار بين سلطة ومعارضة،بحسب اتجاهـات الـرأي العـام وقـوة التمثيل الشـعبي) الى المؤسسـات المدنية الحرة التـي تعمل من دون الخضوع الى سلطة.

واذا تجاوزنـا هـذه النظـرة السياسـية الثقافيـة الخارجيـة ،ونظرنا في تفاصـيل العمل الحكومي في الثقافـة، العمـل الموجـود حاليـا أو المأمـول مسـتقبلا،فان واقع الحال لايشـجع كثيرا ،بل هو يدعـو الى الاحبـاط الذي تكرسـه خمس سـنوات مـن العمـل الثقـافي الغفل مـن أي دوافـع ونتائج ثقافية جديرة بالاعتبار.لقد عصـفت المحاصصات المتضـامنة مع البيروقراطيـة الحكومية بالوزارة المسؤولة عن تنفيذ السياسات الثقافية للحكومات المتعاقبـة منـذ ٢٠٠٣ ،وجعلـت منهـا هدفـا رخوا لمنتقـدي تلك السياسـات (هل كانت ثمة سياسـات ثقافيـة حقـا؟) وللراغبـين في النيل مـن الحكومة بسـبب أو مـن دون سبب.واسـهمت ظروف الامن ومشـكلاته الاكـثر اسـتحواذا علـى الاهتمـام الحكومي في توفير مـبررات كثيرة لمن يبحث عن تبرير لفشـل اداء الـوزارة خصوصـا بعد تورط الوزير الثاني بزمام مسؤوليات لا قبل له بها،الأمر الذي تكرر مع الوزيـر الثالث ايضـا،والذي نأمل للوزيـر الرابـع ،وهـو الاقرب نسـبيا من سـلفيه الى طبيعة مسـؤوليته،أن يتحرر منه،ولا احسـب ان الفشـل في الحصـول على التمويـل الجيد كان سـببا حقيقيـا في ضـعف الاداء او انعدامه.ذلـك ان اي تمويـل جيـد كان سـيهدر في فسـاد مـالي واداري حين لايجد السياسات والادارات المناسبة لتصـريفه وانفاقه،كما ان مشكلات الوزارة تتعلق بشـكل اسـاس بالمشـكلات الاداريـة والتمويليـة التـي تركتها عليها سياسـات التمويل الذاتي التي حطـم بها النظام السـابق دوائر الـوزارة الكبيرة واجهزتها الفنية.

هذه مشـكلات في العمل الثقافي الحكومي لم تجد مـن يتصـدى لهـا باهتمـام وبـارادة حقيقية.وقد كان لمثل هذا التصـدي لو حـدث فعلا،وبأيد ثقافية خبـيرة وحريصـة،لأحدث معه تحـولا مهما يمكن التأسـيس عليه،وكان يمكـن معه اسـتعادة أدوار جذرية للكثير من مؤسسـات الوزارة المحطمةمثل دائـرة الشـؤون الثقافية التي كانـت تعد في عقود مضـت اكـبر دار نشـر حكوميـة عربيـة وتحظـى باهتمام قطاع كبير من القراء والمثقفين العرب قبل ان تتعسكر وقبل ان تبتلى بالتمويل الذاتي،والامر نفسـه ينطبق على دار ثقافة الاطفال ودار المأمون ودائـرة السـينما والمسـرح ودائرة الفنـون ودار الكتب والوثائق..

لايدعو هذا الاخفاق الى أي تفاؤل،حيث لا أدري من أين يستمد زملاؤنا في اتحاد الادباء تفاؤلهم،وهم ينتظرون مجلسا حكوميا أعلى للثقافة.

لاأرى المشـكلة في التفـاؤل (كان هنـاك ما يسـمى بالتفـاؤل الثوري)،لسـت ثوريا،ولكـن لاأعترض علـى المتفائلين..غـير أني اعترض حـين لا يكون المثقـف صـريحا مـع سياسـي تمكـن الصـراحة معـه ،ولا تـؤدي الى حبـس أو موت.مثـل هـذا السياسـي يحتاج الى صـراحة المثقف ووضوحه واعتراضاته.

لابأس في التسـاؤل عما يضـمن تحرير المجلس المرتجى من اخطبوط المحاصصـة التي تكبل عمل رئيس الوزراء نفسه مع كثير من وزراء حكومته. قبل اشـهر وبعد هرب وزير الثقافة السابق تنادى مثقفـون من أجـل تحرير الوزارة من المحاصصـة واناطة مسـؤوليتها إلى مثقف بـارز وكفء بعيدا عـن الهويـة الحزبيـة او الطائفيـة او القوميـة.. وكان لمثل هذا النـداء أن يذهب أدراج الرياح التي تتصارع تحاصصـيا على مناصب السفير ووكيل الـوزارة والمديـر العـام. لم يكـن المثقفـون الذين وقعـوا على ذلـك النداء بالمغفلـين الذين لايعرفون بما يجري،لكـن المسـؤولية الاخلاقيـة والوطنية والثقافية تفرض عليهم اسماع صوتهم.هذه بعض أدوار المثقفين.

لا بأس في التسـاؤل بصـراحة اكبر عن مصـير كيانـات يفترض بهـا ان تكـون مماثلـة لمجلس الثقافة في افضـل حالاته المقترحة مـن قبل اتحاد الادباء،الكيانـات المسـتقلة التـي تمـول مـن المال العام،مـا الـذي حدث لهيئـة الاعلام والاتصـالات التي تركها مديرها العام منذ اشـهر وبقي كرسـيه شـاغرا حتـى الان(اذا كانت معلوماتي صـحيحة) لأن المحاصصة لم تتوافق بعد؟

تستطيع الحكومة ان تسهم بقوة في صنع الثقافة الوطنية.وعلى المثقفين ان يشـيروا على الحكومة بفعـل الخـبرة والتخصـص ايـن يمكـن ان يكون عملهـا ايجابيا وقويا،واين يمكن أن تعفي نفسـها من مسؤولية العمل.

وفي ظـرف مثل ظـرف العـراق الراهـن ،أرى من الضرورة ان تعين الحكومة هياكلها الجاهزة،دوائر وزارة الثقافة وبناها التحتية من قاعات ومسـارح ودورعرض وتوفير المستلزمات الفنية والطباعية مـع مطالبـة هـذه الدوائـر ببرامـج عمـل وخطط استراتيجية للنهوض بعملها ،والاستعانة بخبراء مـن المثقفـين لاقـرار هذه الخطـط والبرامـج قبل المصادقة عليها من قبل خبراء السياسة والمال.

تسـتطيع الحكومـة ،بـل هـي مطالبة،بـأن تنهـض بقطاعـي التعليـم وتعيـد لهمـا ادوارهما المضـاعة،أدوارهما في الاسـهام في صـنع الثقافة الوطنية،عـبر تحديـث انظمـة التعليـم والمناهـج وربط المدارس والجامعات بروح المعاصرة..وهذا جهد اسـتراتيجي جبار لايمكن انجـازه بالجهود البشـرية والفنية المتوفرة، ولكـن لابد من التفكير فيـه والعمـل عليه ،وهو عمل اسـاس وحاسـم في صنع الصورة الثقافية المستقبلية للمجتمع.

عـن أية ثقافـة وطنية نتحدث فيمـا يتخرج الطلبة من دون قـراءة حرف واحد عـن الثقافات الفرعية في البلاد،ناهيك عن الثقافات الاخرى.؟

اسـوق هذا للمثـال على أن نظـام التعليم الموروث لايسـهم في صـنع وتنمية الثقافة الوطنية،قدر ما يشـوهها ويضـلل المتعلمين ان لم يعق فرصهم في الحصـول على تعليـم حقيقي،على الحـدود الدنيا مـن التثقيف الـذي يؤهل في مراحـل اعداد لاحقة المواطنين للاسهام في صنع الثقافة.

تسـتطيع الحكومـة بهـذا ان تنجـز فعـلا ثقافيـا جذريا.

تسـتطيع الحكومـة ،في ظـروف تشـريعية وقانونية لاحقة،أن تقدم دعما غير مشـروط لعمل المثقفين(وليس للمثقفين)،وذلـك عـبر دوائرهـا ذات الاختصـاص،أو عبر نظام الاعفاء الضـريبي الذي ييسرلاصـحاب المـال والأعمـال تقديم المنح للأعمـال الثقافية(وأكـرر ليس للمثقفين انفسـهم) مقابل تسـهيلات ضـريبية،كما هـو معمول به في الكثير من البلدان التي تحترم قيمة العمل الثقافي كحاجـة وطنيـة وتصـون كرامـة مثقفيهـا من ذل السؤال والحاجة.

هذه بعض مجالات وآليات تسـتطيع الحكومة بها أن تترجـم حرصـها علـى الثقافـة الوطنية،لتعين الأوسـاط الثقافية المتباينة في سعيها واجتهاداتها..

وتدرك هـذه الملاحظات أن إعلان رئاسـة الوزراء عن نية تشـكيل المجلس هـي نية تنتظر فيما اعتقد الكثـير من الاجراءات الاخـرى التي من الممكن ان يترافق معها سماع آراء ووجهات نظر متباينة من أجل الوصـول الى ما هو مفيد. وقبل هذا نأمل من المستشـارين الثقافيين أو مـن يقومون بهذا العمل في الدوائـر السياسـية المسـؤولة متابعـة دقيقـة للحـراك الثقـافي الذي ينشـط هنا وهنـاك ،وهي متابعـة تعـين تلـك الدوائر في تأشـير وتنشـيط الكثـير من المبـادرات ،كما تختصـر علـى الدوائر ذاتهـا الجهـد والوقـت حـين تسـتفيد ممـا يقدمه الـرأي العام الثقافي صـاحب المصـلحة الحقيقية في التنمية الثقافية.والا من أين تتأتى للمسـؤول البيانات السـليمة التي تسـاعده في الوصـول الى قرارات سـليمة ومقبولة ثقافيا مالم يسـمع صوت المثقفين انفسهم،صوتهم المعبر عن نزوعهم الحر.

لابد من الاصغاء الى المثقفين.

لابد من الاصغاء الى الحرية.

جانب من الحضور في اسبوع المدى الثقافي الرابع